قضية الشعر الجديد

بقلم ملاك عبد العزيز

ماذا نعني او يعني الناس حين يتحدثون عن الشعر الجديد ؟

ان احد شيوخ الادباء فى مصر ـ يؤيده غيره من الشيوخ ـ يدعى « ان دنيا العرب قد خلت منذ ذهب شوقي وحافظ وخليل مطران والزهاوي وعبد المطلب والجارم من الشعر الخليق باسمه ومعناه . . اما شعر المجودين فلا يصلح اكثره الا لتكملة صفحة ناقصة فى مجلة تحليه شجرة مهدلة الاغصان ، او بجانب فتاة عارية حتى من القمصان » . .

ومثل هذا الاديب الشيخ لا يرفع من قيمة شعر من ذكرهم من الشعراء احساسا منه بقيمته الحقيقية ، بل اعجابا بالقديم لقدمه اول الامر ، ثم اعجابا بالرصانة اللغوية والجزالة الشكلية التي امتاز بها أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، وامتازت بها حركة البعث الشعري التي بدأها فى مصر محمود سامي البارودي ، فارتفعت بالشعر العربي عن الركاكة والتفاهة واللعب بالالفاظ ، التي كانت صفته الغالبة فى العهد التركي ، والتي نفضها عنه الشعر حين بدات الشعوب العربية تحس بقوميتها ، فأخذت تنزع الى ماضيها المجيد ، تحيي تاريخها وتراثها اللغوي .

مثل هذا الاديب الشيخ ينظر الى الجزالة اللفظية فحسب ، والا فكيف اسقط شعراء الجيل اللاحق من امثال ناجي وعلي محمود طه وشعراء المهجر والاخطل الصغير وغيرهم ، بينما شعرهم أكثر تعبيرا عن عوالم النفس وأكثر تجاوبا مع الاجيال اللاحقة ؟ . . والا فأين الشعر فى نظم شاعر كالجارم ؟ . . لقد فتشت فى دواوينه الاربعة فلم اكد أجد شعرا الا قصيدة او قصيدتين فى رثاء ابنه وصديقه ، أما بقية الدواوين فقد كانت محشوة بتهنئات لا اول لها ولا آخر للملك الراحل فى اعياد جلوسه وميلاده وحله وترحاله . ليس فيها نفثة قلب او نداء روح او حيرة فكر او انطلاق وجدان .

وعبدالمطلب اراد ان يجدد فاتخذ سبيله الى «الامام علي» على متن طائرة بدلا من الناقة القلوص . اما الزهاوي فقد كان فى شعره نثر كثير . ومع ذلك فقد كان هو داعية تجديد بل لقد كتب بالفعل قصائد من الشعر المرسل المتحرر من القافية تحررا كاملا وان لم يصاحبه التوفيق . وهو القائل « ولا ارى للشعر قواعد ، بل هو فوق القواعد ، حرٌ لا يتقيد بالسلاسل والاغلال . وهو اشبه بالاحياء فى اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد وأحر به ان يتجدد بحسب الزمان . » ذلك ما يقوله الزهاوي . . .

على ان المتمسكين بالجزالة ينسون ان الحياة تتجدد وان اللغة تتجدد بتجدد الحياة ، وان الادب اليوم لم يعد ترفا يختص به نفر من الصفوة المنقطعين لمعاجم اللغة واضابيرها الصفراء ، بل اصبح غذاء حيويا لنفوس ابناء الشعب الذين انتشر بينهم التعليم بعد النهضة الحديثة فى البلاد العربية .

وتطور مفهوم الجمال فلم يعد للجزالة قيمة ذاتية تستغني بها عن كل مدلول ، بل اصبح الجمال هو القدرة على التعبير الدقيق عن خلجات النفوس تعبيرا موحيا مؤثرا . وأصبح الشعر يتناول الاشياء الاليفة البسيطة بأسلوب يماثلها الفة وبساطة . أصبح يلتفت الى الشعب ، الى افراده العاديين البسطاء ، ويحس بآلامهم احساسا انسانيا صادرا عن القلب بعد ان كان يقف بأبواب الملوك والامراء والوزراء . لم يعد ينتظر حريقا كبيرا و حربا ضروسا او خلافة تتزعزع او اميرا يموت لكي يترنم بشعره ، وان كان لم يهمل احداث وطنه بل احداث الانسانية الكبرى .

أصبح الشاعر فى قصيدة كمال نشأت « لبيبة » يلتفت الى آلام طفل يتيم أقبل عليه العيد فى القرية ، وهو يستمع الى طفلة ، ابنة عم العمدة تتحدث عن فرحها وبهجتها :

كنا فى الليل على البيدر ... وجناح الليل بأيدينا
ولبيبة تسرد رحلتها ... لأخيها الساكن ادفينا
ونقيق الضفدع فى السمع ... وهديل حمام الابراج
موسيقى بين جوانحنا ... تهتز مع الليل الساجي
همست فى صوت لونه ... فرح الاطيار على الشجره :
«العيد صباح الاثنين ... اني للعيد لمنتظره
سأطوف أطوف مع الركب ... لنهنىء حكام البلده
فأبي في العيد سيصحبني ... أو ليس ابي عم العمدة
وأخي سيجيء ويمنحني ... ثوبا فى لون البرسيم
وفطيرا يصنع فى البندر ... والتمر والتمر الابريمي »
فتجعد وجه محتقن ... وتململ فوق الاوراق
هو عيسى يتيم نعرفه ... هو عيسى ربيب الحلاق
قد فر ليخفي دمعته ... والليل كهمس الغريد
فضحكنا منه .. ورجعنا ... لحديث لبيبة في العيد

بتلك الخفة والبساطة المؤثرة والتي تناسب الحديث عن الاطفال يصور الشاعر فرح طفلة قروية والم طفل يتيم ويهز ضمائرنا نحوه ونحو امثاله ، فى غير صخب او ضجيج ، ويلومنا على اغفال

« ان الشعر الجديد روائعه وسقطاته . وكل ما نرجوه ممن يهاجمونه او ينكرونه من الشيوخ ان يدركوا انه قد كتب لجيل غير جيلهم ، تأثر والفعل بغير ما تأثروا به هم او انفعلوا ، فاذا نظروا اليه بتلك العين السمحة ، فلن تبقى ثمة خصومة بين الشباب والشيوخ » .

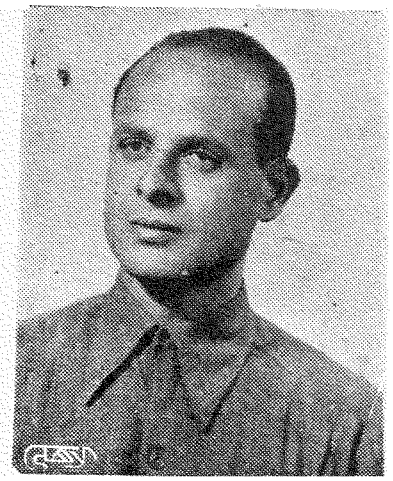

كمال عبد الحليم

كمال نشأت

محمد العنتيل

شـأنه حـين يقول :

فضحكنا منـه ورجعنا لحديث لبيبة في العيد

انه يدعونا الى التكافل الاجتماعي والى محبة المستضعفين ولكن بغير تلك الخطب المنبرية الجوفاء التي تعبر الأسماع ولا تصل الى القلوب . وهو حين يصور جو القرية لا يذكر تغريد البلابل التي لا نعرفها فى مصر ولا النسيم العليل أو الماء السلسبيل ، بل يذكر أبراج الحمام المنتشرة فى قرانا ، ونقيق الضفادع التي هي نغم حي من موسيقى ريفنـا الجميل . والثوب الاخضر ليس من لون السندس الذي لا نعرفه ، بل من لون البرسيم الندي الذي نألفه ويحمل الى نفوسنا صدى مباشرا . ثم ان الصور التقليدية القديمة قد الفنا سماعها وتكرارها من الشعر القديم بحيث لم تعد تهز نفوسنا هزة الجديد ، اذ أصبحت في نظرنا مجازات ميتـة بهت منها الـق الصورة الحيـة مـن فرط ما استخدمت ، فلم نعـد نرى فيهـا الصورة المعبـرة الموحية ، بل المعنى التقريري المجرد .

نعم ، لقد ظهر الشعر المهموس فى الادب الجديد ، ولم يعد قاصرا على بعض شعراء المهجر . لقد كانوا هم بحق أساتذته ، تأثر بهم الجيل الجديد من الشعراء ، فكم من قصيدة في الادب المعاصر تجد فيها اصداء من ميخائيـل نعيمه أو نسيب عريضه او ايليا أبي ماضي . ولكنهم تأثروا أيضا بألوان من الادب الغربي .

نعم ، لقد ظهر الادب المهموس ، ولكن بتيارين مختلفين ، ذلك التيار الذي يضيف الى النغم الاليف الصور الحيـة المجسمة ، وهو أقرب الى الشعر المهجري ، وذلك الـذي يجنح الى السذاجة والبساطة والعذوبة والمحبة،ويتخذ جماله من الصورة الكلية والمغزى العام،وهو اقرب الى الشعر العامي .

لقد تنوعت نغمات الشعر الجديد ، ولم تعد نغما واحدا الفته الآذان حتى مجّته . فالشعر التقليدي واحد النغم لانه يقلد شيئا واحدا . واكثره لا ينبعث من القلب بل من الصنعة الجوفاء . ان المرء قد يختلف في الدرجة ولكـن لا يختلف فى النوع . ليست لديه سوى نغمة واحدة يجود فيها العرض الفني او يسوء . فالحركات التجديدية فى الشعر التقليدي كانت دائما حركات تجديد فى الزخرف لا فى الجوهر ، حتى لقد لمس ذلك بعض نقاد العرب القدامـى كما سبق أن اشار الدكتور مندور . ولكن الشعر الجديد يتنوع فى النغـم .

هناك النغم العاصف العتي الذي يساوق الثورات التي تشتعل اليوم فى ربوع الامة العربية وان كان لا يجنح الى التقرير الخطابي القديم بل يستعين بالصور الحية المنفعلة المتدافعة فيزيد النغم العاصف ثراء على ثراء .

هذا النغم يتردد لدى الشاعر الفلسطيني معين بسيسو والشاعرين المصريين الفيتوري وكمال عبد الحليم والشاعر اللبناني عاطف كرم ، والشاعر السوداني ربيب مصر تـاج السر الحسـن ، وغيرهم .

استمعوا الى صوت معين بسيسو فى قصيدته «تحدي»:

انا لا أخاف من السلاسل فاربطوني بالسـلاسـل
من عاش في ارض الزلازل لا يخاف من الزلازل
لمـن المشـانق تنصبـون لمـن تشـدون المقاصـل
لـن تطفئوا مهمـا نفختم فى الدجى هـذي المشـاعل
الشـعب أوقدها وسار بها قوافـل فى قوافـل
قد أقسـموا والشمس ترخي فوقهم حمـر الضفـائر
ان يطردوا مـن ارضنا الخضـراء تجـار المقابـر
ويجردوا التاريـخ مـن قلم المغـامر والمقـامر
فنحقـق الوطـن الكبـير لنـا ونزرعه منائـر

وهناك الحيوية الطافرة فى التعبير والحوار تتجلى فى شعر نزار قباني وتلك الالفاظ المشحونة باللون والعاطفة والاناقة الرشيقة :

مـن حرجنـا المدروز شـوحا
سقف منـزلنا اختفـى
حرسـته خمس صنوبـرات
فانزوى وتصوفـا
نسـج الثـلوج عبـاءة
لبس الزوابـع معطفـا

وبدخنـــة مـن غـزل مغزلـه
اكتســى وتلفلفــا
الطيب بعض حـــدوده
أتريـد ان لا يعرفــا
وحـدود بيـتي غيمـــة
عبـرت وجنـــح رفرفــا

وهناك النغم الذي يمتاز بالعذوبة والرقة ، ويعشـــق الطبيعة ويتنسم عبير ارضها ويمزجه بعبير الحب ، فيوحدة شعرية خفيفة مجنحة مثل شعر فدوى طوقان وفـوزي العنتيـل . اسـتمع اليـه يقـول :

سـكب الربيـع نـداءه المشـتاق في أحنـائيه
فحملت افـراح الطفولـة في ذراعي العـاربه
مترنمـا متوثبـا ... أعدو وراء الرابيـه
كالنحلـة الحمـراء تلثغهـا خمـور الداليـه
فتظـل تهـذي أو تثرثـر للزهـور الحانيـه
زنارهـا لـهب ... وعيناهـا ورود قانيـه

وهناك النغم الوادع الهادىء ، النغم المهموس المفعم بالانسانية والمحبة والحنان ، ولكنه ينفذ الى قلبك بصدقه وبساطته ، ورهافته والفته ، فيحرك منه اخفى الاوتار . هذا النغم نجده عند عبد الرحمن الشرقاوي وصـلاح عبد الصبور وكمال نشأت وجيلي عبد الرحمن . وهو يتخذ جماله من الصورة الكلية المؤثرة لا من الابداع الجزئي فـي كل فقـرة .

وبعض النقاد الذين ينظرون الى الشعر الجديد نظرتهم الى الشعر التقليدي يصفون مثل هذا الشعر بالنثرية اذ ينظرون الى كل سطر منه على حدة منتزعا من بنية القصيدة الكلية ، ثم يقولون أين الجمال أين الشعر اذا لم يجـدوا صورا جزئية رائعة او تعبيرا ذا رنين . ونسوا ان القصيدة الجديدة أصبحت بنية حية لا يمكن الحكم على جزء منهـا منفصلا عن سائرها . فكما لا يمكن الحكم على صورة أو لوحة بانتزاع جزء منها والنظر اليه على حدة فكذلك لا يمكن الحكم على مثل تلك القصائد بمثل هذه الطريقة . فالجمال يبدو فى الانسجام بين اجزاء اللوحة وترابطها ومن تناغـم الالـوان وايحائها ، النافـذ بالهدف الذي ترمي اليـه .

فعبد الرحمـن الشرقاوي فى قصيدته الموجهة الى الرئيس ترومان يدعوه فيهـا الى انتهاج سبيـل السلام ـ يتحدث عن طفلته فيقول :

فدعني أقل لك اني أب ... أب لس غير
وأنت أب ... وكلانا حنـون
سـوى ان بي رقـة للبنين
ولي طفلـة كائتلاق الصبـاح
كحـلم الربيـع كهمس القبـل
كنـوارة فى اخضرار الحقـول
ينفتـح فى شـفتيهـا الامـل
تحاول جاهـدة أن تسير ، وكانت لعهدي لم تقعد
فحينـا تلوذ الى حائط ، فان لم تجد فالى مقعد
فان لم تجد وقفت لحظة لتضرب ما حولها باليـد
ويا ربمـا رنحتهـا الخطا ... ويا طالمـا وقعت ضاحكه
لتنهض عازمة من جـديد ، كذلك تمضي بنا المعركـه
تدربهـا عثرات الطريـق وتدفعهـا خبـرة التجربـه

ثم يضيف :

ولست أريد لها أن تموت .. فرفقا وأنت تخط المصير
أترمي حماماتنـا بالنسـور ؟
معـاذ الابوة يا سيدي .. فأنت أب وكلانا حنون .
ألسـت تصـون حياة ابنتـك ؟
فهـل تصنـع الموت للاخريـات ؟
واني لأدعوك باسـم الابوة باسم الحياة وباسم الصغـار
لتعقـد حلفـا يصون السـلام ويرعى المودات بين الكبـار
فانت أب قد صنعت الحيـاة ولن تصنـع الموت بعد الحيـاه

فلو اننا انتزعنا مثل هذا السطر :

تحاول جاهـدة ان تسير وكانت لعهـدي لم تقعد

لنرى أي نوع من الجمال يكمن فيه فلن نجـد شـيئا ، وسنقول مع النقاد التقليديين انه نثر لا شعر فيه . ولكنه فى الحقيقة ليس سوى بقعة من اللون فى اللوحة الكبيرة المعبرة.

ان تجسيم صورة الطفلة امامنا وهي تحاول المشـي تستند الى حائط تارة وتضرب الهواء حولها تارة اخرى ثم تتعثر وتنهض ، هذه اللمسات الجزئية البسيطة التي خلت من الضجيج والالوان الباهرة ـ قد جعلت صورة الطفولة تتجسم امامنا ، وجعلت تذكرنا بأطفالنا الذين نحبهم والذين مروا بتلك التجربة ، وتثير فى قلوبنا المحبة والحنان، بحيث نؤمن مع الشاعـر بالهدف الذي قصـد اليه وهو الدعـوة للسلام لنجنب اطفالنا قسوة الحـروب ومرارتها .

ان الخيط جـد دقيق بـين البسـاطة والنثرية . ولكـن لا ينبغي ان نطلق هـذه على تلك الا فى حالات خاصة حين يخـلو الشعر من صورة كلية

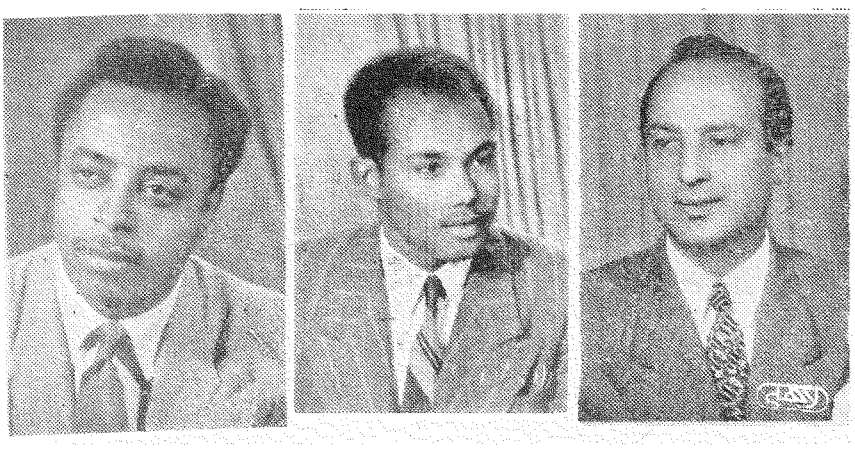

عاطف كرم — محي الدين فارس — محمد الفيتوري

مؤثرة أو صور جزئية مشحونة بالابداع الفني ، او اذا خلا من العاطفة النافذة التي تسري فى ثناياه وتعدي قارئه ، وان لم يكن الامساك بها فى صورة كلية او جزئية بل في طريقة نظم الكلمات كما قال عبد القاهر الجرجاني ، الناقد القديم ، حين أراد أن يضع يده على سر اعجاز القرآن . قد نجد هذه العاطفة في تقديم او تأخير ، في استفهام أو تعجب وفي كل تلك الطرق النفسية البلاغية التي تحفل بها وسائل التعبير .

نعم ان النثرية تهمة كبرى تلصق بالشعر الجديد . وليس معنى ذلك انه ليس هناك شعر نثري جديد — ان جاز هذا التعبير — ولكن مثل هذا الشعر كان موجودا دائما فى القديم والجديد على السواء . كان هناك دائما النظم الى جانب الشعر ، والزمن وحده هو الكفيل بالتعفية على آثاره. على ان للنقد دوره فى هذا الامر لانه يستطيع ان يميز الخبيث من الطيب ، وان يرشد الناشئين الى ما ينبغي احتذاؤه او اجتنابه . اما انكار الشعر الجديد جملة فلن يفيد الشعر شيئا ، اذ سيحتمي الخبيث بظل الطيب ، ويستر سوءاته فى ردائه ، فلا يمكن الكشف عنها او التنبيه اليها .

ثم هناك الشعر الذي يتسربل بوشاح من الظلال والاسرار وينقل اليك الجو الذي فى نفس الشاعر اكثر مما ينقل المعنى الواضح المحدد ، كبعض شعر نازك الملائكة فى ديوانها الثاني والكثير من شعر عبد الوهاب البياتي.

واخيرا فهناك ذلك النغم الذي يمتزج بين الشعر الصافي وجمال الطبيعة ورقتها وبين المشاكل الانسانية الكبرى ، كمشكلة السلام والاستعمار واضطهاد الزنوج ، فى صوت انساني مليء بالمحبة والحنان ، وينحت صوره من محجر الانسانية البكر ، من طفولة القلب الذي يرى الطيوف ويقتنص الالوان وتتجسد امامه الرؤى والاشباح كشعر محي الدين فارس . استمع اليه فى قصيدة « السلام الاخضر » :

انظري
أصابع الفجر على شباكنا المنور
قد نمنمت ستارة من نسجها المشجر
واستيقظت جاراتنا الاطيار عند الشجر
تصغي الى حديثنا المنغوم فى تستر .
وهذه الشمس على ذوائب الخميله
أرخت ضفائر السنى جديلة جديله
حبيبتي حبيبتي ، يا أخت قلبي الشاعر
سوقي معي الرياح عن درب الحياة الاخضر
مدي معي يديك نقطف زهرات السوسن ،
ومن دروب العوسج
خوضي معي خوضي الى ضفاف الوهج
سنفرس الدرب غدا بالفل والبنفسج
الى هنا أرسم لوحات السلام الاخضر
ليصبح الوجود غنوة تموج بالعبير
ليهمس الغدير للغدير
لتصدح الطيور للطيور
لتلتقي الدموع بالدموع والجراح بالجراح
ليلتقي الانسان بالانسان فى عناق
وفى ربى افريقيه
وفى ليالي آسيه
فلا تئن راعيه
ولا تنوح ساقيه
وطفلتي فراشة تمرح فوق الرابيه .

نعم ، لقد اصبح الشعر الحديث يتحدث عن السياسة بعد ان صمت عنها الجيل السابق جيل ابراهيم ناجي وجماعة ابوللو والاخطل الصغير . ولكنهم لم يعودوا يتحدثون عنها بنفس الطريقة التقريرية التي كان يتحدث بها جيل شوقي وحافظ والزهاوي . لقد اصبحوا يمزجونها بتجاربهم الشخصية وروابطهم الانسانية الوثيقة لا بالمعاني المجردة التي لا تصل الى اغوار القلوب ، فى اسلوب قصصي يجسم المآسي وينفذ الى القلوب ، كتلك القصيدة الرائعة لهارون هاشم رشيد بعنوان «قصة» يصف فيها طفلا فلسطينيا قتل اليهود اباه المجاهد الشهيد ثم قتلوا امه امام عينيه ، ثم عقبوا بحرق القرية كلها :

نازك الملائكة

ومشى الجند ... مشوا من فوق امي
وأنا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل أن تدفن فوق الدرب جسمي
غير أن العمدة المسكين يحميني ، ويهتز ليتمي
واجتمعنا خارج القرية فى سفح الجبل
وبدت قدامنا قريتنا نبع الامل
تأكل النار نواحيها وتجتاح القلل
ورأينا بيتنا المحبوب فى النار اشتعل
من هنا قد بدأت مأساة عمري
بدأت قصة آلامي واحقادي وثأري
من هنا قد شبت النيران فى أعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري .

أو تلك القصيدة الاخرى « مع الغرباء » التي تترنم بها

الشادية اللبنانية فيروز بصوتها الحنون الذي يتغلغل الى ابعد اعماق النفوس .

ومثلها قصيدة نزار قباني « راشيل روزنبرج » ، وغيرها من قصائد عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور وبعض قصائد فوى طوقان .

وقد يعمدون الى الحماسة فى الحديث عن المشاكل السياسية ولكن دون ان يتخلوا عن التعبير بالصور المتدافعة الذي هو احد الميزات التي تفرق بين القديم والجديد .

لم يعد الشعر السياسي تعليقا على الاخبار كما كان الشأن من قبل ، فقد كانوا يقولون: ما تكاد الحادثة تقع حتى نجد شوقي قد نظمها قصيدة تنشر فى اليوم التالي .

لم يعد الشعر ينتظر الاحداث ليعلق عليها ، بل اصبح يبشر بها ويدعو اليها . أصبح رائدا لا تابعا . والرائد يشق الطريق ، ويستمسك بالرأي ، لا يتلون او يهادن تملقا لحاكم او خوفا من سلطان او ايثارا لعافية .

وما كان للشعر من قبل مثل هذا الدور . لقد كان شوقي يرثي للخليفة العثماني المخلوع ويمدح جمعية تركيا الفتاة التي خلعته قضاء على الاستبداد والطغيان ـ يفعل كل ذلك فى قصيدة واحدة . وكان يتابع الملوك : ان لاينوا الانكليز لاينهم وان غاضبوهم غاضبهم .

وكان حافظ شاعر النيل يخاطب الانكليز فى تردد وخنوع اثر حادث دنشواي الشهير :

أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو انفوسا أصبتمو أم جمادا

كان ذلك الجيل جيلا مترددا حائرا ، لم تكن له ثقة كاملة بنفسه وبشعبه وبالمثل العليا التي قد يرددها فى بعض شعره . كان ينظر الى الشعب المتفتح بعين ، والى الطغاة بعين .

ولكن صلاح عبد الصبور الشاعر الشاب جعل من زهران ـ احد قتلى دنشواي ـ اسطورة تعرفها شعوب العرب . جعل منه نصبا للذكرى ... رمزا حيا لظلم الاستعمار ، وطغيانه .

والشاعر المصري الشاب كمال عبد الحليم يبشر للثورة قبل ان تقع الثورة :

يا رفاق الشقاء هل من مريد
لنزوح الى بلاد بعيده
حيث تحت السماء قوت وستر
وحياة يقال عنها سعيده

وكان وهو فى السجن يدعو الشعب الى ان يقاوم المعاهدة التي اراد الجلاد صدقي باشا ان يكبل بها شعب مصر سنة ١٩٤٦:

ايها الشعب تمرد افلا تبصر قيدك
ها هو الحفار قد اوشك ان ينهي امرك

وهارون هاشم رشيد يبشر بعودة اللاجئين ، عودة الغرباء :

فيصرخ سوف نرجعه
سنرجع ذلك الوطنا
فلن نرضى له بدلا
ولن نرضى له ثمنا
لنا أمل سيدفعنا
اذا ما لوح الثأر
فصبرا يا ابنتي صبرا
غداة غد لنا النصر

نعم ان شعراء اليوم يخوضون المعارك بأنفسهم ، عرفوا السجن والنفي والتشريد ، ولذلك فشعرهم منبثق من صميم المعركة ، شعر حياة وتجربة لا شعر صناعة وزخرف. لم يعودوا يتفرجون على التاريخ بل اصبحوا يشاركون فى صنعه .

فدوى طوقان

بقيت قضية الموسيقى في الشعر الجديد .

ان بعض النقاد يوحون بأن التمسك بالشكل القديم للقصيدة العربية أو للبيت الشعري الكامل التفاعيل ، أو للقوافي المطردة اطرادا كاملا او جزئيا ـ يوحون بأن مثل هذا التمسك رذيلة تحد من حرية الشاعر ، وتقتل قدرته على التعبير عن عوالم النفس والحس اللانهائية الاغوار ، بينما يرى آخرون ان اطراحها هو الرذيلة بعينها ، وهو النزول بالشعر العربي فى مهاوي الموسيقى الساقطة ، فأيهم على حق وأيهم أحق بالاتباع ؟

الواقع ان الشعر المتحرر من التزام البيت الكامل وحدة للقصيدة انما ينبغي ان ينظر اليه باعتباره مكملا لأنغام الشعر القديمة ومعبرا عن جوانب من النفس لم تكن بمستطيعة ان تصل اليها . وهو بذلك لا يلغيه بل يكمله . فعوالم النفس لا حد لأغوارها واسرارها . فالشكل الجديد بما له من قدرة اوسع على تطويع النغمات وتنويعها قد يستطيع ان يعبر عن بعض الظلال والالوان التي قد تعجز عنها الطريقة التقليدية .

ولكن ليس معنى ذلك ان يقسر الشاعر نفسه على اتباع طريقة بعينهاكما يفعل بعض الشباب احيانا ، فيأتي شعرهم مهشما عاطلا من العاطفة الصادقة والتعبير المؤثر . المهم ان يستجيب الشاعر الى نداء نفسه فيتخذ النغم الذي يعبر عنها تعبيرا دقيقا . فالموسيقى هي العنصر الوحيد فى الشعر الذي تخلص تخلصا كاملا من تحكم العناصر العقلية الملازمة للتعبير اللغوي ، واصبح فيضا او تعبيراً مباشرا عن عواطف النفس . فاذا تدخل فيها عنصر الارادة والافتعال فقدت قيمتها فى حمل الشحنة العاطفية التلقائية التي كثيرا ما تعجز عن حملها

نزار قباني

اما التزام القافية او تنويعها او التخلي عنها ، فالحكم في ذلك كمال القدرة على استخدامها أو كمال القدرة على الاستغناء عنها . فالقدرة على استخدامها في حاجة الى غنى الثروة اللغوية التي يستخدمها الشاعر ، ثم قدرته على الاختيار الدقيق بحيث لا تأتي القافية قلقة او نافرة او مجتلبة . والقدرة على الاستغناء عنها كليا او جزئيا في حاجة الى اذن موسيقية اشد ارهافا ، لكي تقيم النغم وتحقق الانسجام الصوتي بغير الاداة المألوفة . وكذلك الامر في استخدام التفعيلة وحدة للقصيدة . انه اكثر مشقة لمن أراد ان يكتب شعرا في مستوى فني رفيع يحتفظ بما ينبغي للشعر من موسيقى منسجمة متكاملة . فعلى الشاعر ان يقيم النغم بين كل سطر وما يسبقه وما يليه بينما كان شاعر الطريقة القديمة يكتفي بأن يعثر على البحر المعبر في نفسه حتى يسير بعد ذلك في سبيل مطروقة . والى ان يظهر بيننا « خليل » جديد يضع قواعد « للهارموني » أو للانسجام الواجب توافره في الانتقال من سطر لسطر يخالفه في الطول أو من وزن لوزن يخالفه في النغم ، ويحدد انواع الاوزان التي يجوز الانتقال بينها في القصيدة الواحدة ، أو الى أن يكثر الشعر الجيد المكتوب بالطريقة الجديدة كثرة كافية ، بحيث يصبح نماذج تستقر نغماتها في نفوس الناشئين بغير حاجة الى قواعد أو أصول — الى ان يحدث هذا ، على الشباب ان يحذورا الالتجاء الى تلك الطريقة الجديدة دون اتقان لوسائلها ، ودون ان تكون منبعثة عن دافع نفسي بل عن مجرد التقليد او التأثر بأقوال بعض النقاد غير الشعراء. فالموسيقى عنصر اساسي في الشعر لا يجوز الاستغناء عنه او الترخص فيه اذ انها تعبر عن طاقة عاطفية أعتى وأعمق من تلك التي يعبر عنها النثر ، بل اننا لنلاحظ ان النثر الجيد له موسيقى وان كانت أقل طبقة من موسيقى الشعر ، وكلما زادت حرارة العاطفة فيه زاد استشعار النفس لموسيقاه .

والعنصر الموسيقي في الشعر ليس قيدا .. انه ضرورة للتنفيس عن تلك الطاقة العاطفية الكبرى التي تحفز الى قوله . والشاعر الحق القوي العاطفة لا يضيق بها ، بل على العكس يراها اداته الكبرى لاخراج ما بنفسه ، كالشاب المملوء قوة وفتوة ، وحيوية فياضة ، لا تكفيه نزهة هادئة في سهل منبسط ، بل تراه يبحث عن الحركة العنيفة في تسلق جبل او مجالدة امواج أو عدو سريع او مصارعة خشنة لينفس عن قواه المحتبسة ودوافعه المكبوتة .

وأخيرا فللشعر الجديد روائعه وسقطاته ، وكل ما نرجوه ممن يهاجمونه او ينكرونه من الشيوخ ان يدركوا انه قد كتب لجيل غير جيلهم ، تأثر وانفعل بغير ما تأثروا به هم او انفعلوا ، فاذا نظروا اليه بتلك العين السمحة فلن تبقى ثمة خصومة بين الشباب والشيوخ . ✱

ملك عبد العزيز

(✱) محاضرة القيت في بيروت بدعوة من هيئة المحاضرات العامة في كلية المقاصد الاسلامية .

دار الثقافة

تقدم دائماً وابداً

افضل الترجمات لكبار الادباء العالميين

احدث ما صدر :

- بواتق وانابيق ، او قصة الكيمياء ـ تأليف برنارد جافي ترجمة الدكتور احمد زكي
الثمن ٨٠٠ ق.ل.
- الثقافة الاسلامية ـ مجموعة بحوث لاساتذة مختلفين راجعها ـ محمد خلف الله
الثمن ٨٠٠ ق.ل.
- مباهج الفلسفة (جزآن) تأليف ول ديورانت ترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهوائي (جزآن)
٧٥٠ ق.ل.
- حياة الفكر في العالم الجديد ـ تأليف الدكتور زكي نجيب محمود الثمن ٢٥٠ ق.ل
- كسب محبة الغير ـ الجزء ١٨ من سلسلة علم النفس للادباء المدرسين تأليف هيلين شاكثر ترجمة محمد عثمان
الثمن ٨٠ ق.ل.
- جبرؤوت العقل تأليف جلبرت هايت ترجمة فؤاد صروف الثمن ٢٠٠ ق.ل.
- تكوين العقل الحديث ـ تأليف هـ. راندل ترجمة الدكتور جورج طعمة ـ تقديم الدكتور محمد حسين هيكل
الثمن ٧٠٠ ق.ل.

الوكلاء العموميون لهذه المنشورات

ذار الثقافة بيروت

عمارة الاوقاف الاسلامية السور ـ
ص ب. ٥٤٣ ـ تلفون ٣٠٥٦١ ومن عموم المكتبات في البلاد العربية ـ الفهرس يرسل مجانا لمن يطلبه

تحت الطبع

تكوين العقل الحديث الجزء الثاني
آراء جفرسن الحية تأليف جول ديوي ترجمة محمد يوسف زايد